

واتخموا الناس بالخيال والمطلق.

كتب عوز: «تجرّع الاسرائيليون جرعة أكثر مما ينبغي من التاريخ». ولفظة «التاريخ» في الادبيات الصهيونية لا تعني ما نفهمه نحن من التاريخ، كتسجيل او تأويل للوقائع، بل تعني، تحديداً، هذا التاريخ الانساني الذي أوجزه الصهيوني وحوّله الى تاريخ لـ «اليهودي» يتجلّى به وله. وهكذا، فان هذه الجرعة الزائدة عن الحدّ لا تجعل من الممكن الاحساس بالمكان والزمان البشريين؛ انها صناعة مخصصة لجعل اليهودي مختصر الانسان وتاريخه الموجز؛ فليس هناك عذاب سوى عذاب اليهودي! وليس هناك شعب في العالم سوى الشعب اليهودي! الارض وما عليها مجرد دخان لا تتخذ شكلاً إلا اذا جاء اليهود!

مثل هذه الجرعة ستجعل قراء الكاتب الصهيوني يمتعضون ان حاول اقناعهم بأنه فرد يودّ ان يعيش الحياة كأبي فرد آخر، ويثورون على كتابهم الذين يريدون الانتقال بالصهيونية من ضباب الايديولوجية الى عقلانية جديدة، او الى الحد الأدنى منها، حين يعكس بعضهم المخاوف الآتية من يقظة صاحب الارض الحقيقي، الفلسطيني، وليس المخاوف اللاهوتية، الغامضة، او حين يبدأ بعضهم بالمطالبة بايقاف مسلسل الخيال السياسي، وصنع مسلسل يتعامل مع البشر والوقائع.

ويظهر، هنا، تأثير التربية الايديولوجية المتحجرة واضحاً، حين يعبر عوز عن ضيقه بهذه «الجرعة» الزائدة من التاريخ، وينتقد ما يسميه «الخلفية التاريخية حين نكتب...» فالثمن الذي يجب دفعه باهظ، بسبب هذه الخلفية بالذات؛ اذ ان الجمهور القارئ، كما قال، ينسب الى الكاتب دور النبي، ويعامله على هذا الاساس. فحتى لو ذهب الى الصحراء بحثاً عن مناخ ملائم لصحة ابنه الصغير، فان الأمر ينظر اليه كما لو انه ذهب ليعتزل ويعدّ مواعظه النبوية. الكاتب الاستيطاني، بتعبير عوز، «محاط بجدران حجرية من كل جانب».

الواقع بالنسبة الى هكذا جرعة هورمال متحركة. وحين يفاجأ الصهيونيون، بعد اربعين سنة من اقامة كيانهم الاستيطاني والمدعوم بقرار الامم المتحدة، بأن الفلسطيني ليس موجوداً فقط بل هو قادر على جعل حتى وجوده العضوي كابوساً بالنسبة الى الفكرة الصهيونية وروادها وحروبها وقنابلها الذرية، فمعنى ذلك ان الوهم قد استطال اكثر مما ينبغي، وللخيال، الذي اراده شاليف بلا حدود، حدوداً.

لن يعاد النظر في جذور الصهيونية بالطبع. فالكيان الذي خلقته هو استجابة، في جانب كبير منه، لحركة استعمار من مخلفات القرن التاسع عشر، وشعاراته لا تتميز كثيراً عن شعارات المستوطنين الذين غزوا العالم وبنوا مستعمراتهم على اراضي الشعوب الاخرى؛ ولكن ما يعاد النظر فيه هو قدرة التعامل مع الواقع الذي اختلط بالخيال وحل محله، اي محاولة الفصل بين ما هو تصريح أدبي وتصريح سياسي. وكما كان الخيال الادبي أرضية سابقة لولادة الفكرة الصهيونية، فما هو يحاول ان يكون أرضية تطوير لهذه الفكرة عينها، وتغذية السياسي بتصريحاته واستعادة الانسجام المفقود منذ عقد من الزمان تقريباً.

حجر

هل يمكن اعادة النظر في الاسطورة؛ في نمط خاص من المعقولية؟

لقد وجد هذا التجمّع الاستيطاني «معقولية»، وثبتتها في ظروف القرن التاسع عشر الاوروبي